المبحث الثالث

شواهد ذم العجلة في القرآن الكريم
والسُّنة النبوية

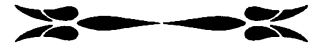

لقد ورد ذمّ العجلة في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية في مواضع كثيرة وأساليب مختلفة، ليدلل على أنها تنافي الحكمة، وتورد الإنسان موارد الهلكة ، أو توقفه مواقف اللوم والحرج ، والمسلم مُطالب أن ينأى بنفسه عن وقوف المواقف المحرجة أو المهلكة ، وفي هذا المبحث سوف أسوق لك بعض الشواهد على ذم العجلة .

أولاً : ذم العجلة كطبع بشري :

لقد خلق الله الإنسان وهو أعلم بما ركب فيه من الطباع والغرائز ، قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ [الملك : ١٤] ، وهو أعلم أيضاً بما يصلح ويهذب هذه الطباع ، ولعل هذا بعض الحكمة في تذييل هذه الآية بقوله : ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ، إذ بخبرته وعلمه يعلم أن الإنسان لو تُرك لطباعه لهلك ، وبلطفه يرشده إلى ما يصلح تلك الطباع .

■ وكان من أهم تلك الطباع البشرية التي تحتاج إلى معالجة : طابع العجلة ، وقد عبّر اللطيف الخبير في كتابه الكريم عن العجلة في الإنسان بما يوحي بتمكن هذا الطبع من الإنسان ، ففي سورة الإسراء يقول تعالى : ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولاً ﴾ [الإسراء : ١١] وفي سورة الأنبياء يقول تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء : ٣٧] .

قال الفراء : ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ وعلى عجل ، كأنك قلت : رُكّب على العجلة ، بِنْيَته العجلة وخِلْقته العجلة .

وقال أبو إسحاق : (خوطب العرب بما تعقل ، والعرب تقول للذي يُكثر الشيء : خُلقت منه ، كما تقول: خلقت من لعب إذا بولغ في وصفه باللعب ، وخُلق فلان من الكَيْس إذا بولغ في صفته بالكَيْس . .) .

وقال ابن جني: ﴿ خُلِقَ الإنسانُ منْ عجلٍ ﴾ : لكثرة فعله إياه واعتياده له[١] .

وقال الشيخ : سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

(. . فالعجلة في طبعه وتكوينه ، وهو يمد ببصره دائماً إلى ما وراء اللحظة الحاضرة،يريد ليتناول بيده، ويريد ليحقق كل ما يخطر له بمجرد أن يخطر بباله، ويريد أن يستحضر كل ما يوعد به و لو كان في ذلك ضرره وإيذاؤه ، ذلك إلا أن يتصل بالله فيثبت ويطمئن ويكل الأمر إلى الله فلا يتعجل قضاءه)[٢] .

■ والمقصود بالإنسان في قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الإنسانُ منْ عجلٍ ﴾ هو آدم ، إذا كان آدم خلق من عجل على معنى أنه خلق عجولاً ، ووجد ذلك في أولاده ، وأورث أولاده العجلة حتى استعجلوا في كل شيء[٣] .

■ وهنا يذكر المفسرون بعض الأخبار التي يستأنسون بها لبيان العجلة في طبع آدم وبنيه ، فمن ذلك .

ما رواه ابن جرير عن عكرمة قال : (لما خلق آدم ونفخ فيه الروح صار في رأسه ، فذهب لينهض قبل أن يبلغ الروح قدميه فوقع فقيل خلق الإنسان من عجل)[٤] .

■ ما رواه ابن كثير عن مجاهد قال : (خلق الله آدم بعد كل شيء من آخر

---

(١) قول الفراء وأبو إسحاق وابن جني أوردهم ابن منظور في لسان العرب ٩ / ٦٥ .
(٢) في ظلال القرآن ٤ / ٢٣٧٩ ط دار الشروق ـ القاهرة .
(٣) الواحدي النيسابوري : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣ / ٢٣٧ .
(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ١٠ / ٦٢٢٣ ط دار الفكر ـ بيروت ٢٠٠١ .

OBEIKAN.COM

النهار من يوم خلق الخلائق ، فلما أحيا الروح عينه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال : يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس) (١) .

وغير ذلك من الروايات التي تدور في نفس الفلك ، وكما هو واضح أنها من حديث بني إسرائيل الذي لا يُصدق و لا يكذب ، ولكن يكفي المؤمن الحق في معرفة أن العجلة طبع بشري مذموم قول ربنا عز وجل: ﴿ **خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ و ﴿ **كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠)** ﴾ [القيامة : ٢٠] .

وقد يقول قائل : كيف يخلق الله الطبع في الإنسان ثم يذمه ؟ .

والجواب : هو أن الله تعالى قد يخلق الطبع في الإنسان معوجاً ، ثم يرسل له من الوحي وأسباب الهداية ما يقوم به العوج ، بحيث تكون هذه الجبلة على هذا الطبع مناطاً للاختبار والامتحان .

قال الإمام الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ :

(وقد يقال : كون الإنسان مخلوقاً من العجل يناسب كونه معذوراً فيه ، فلم رتب على هذه المقدمة قوله : ﴿ **فَلا تَسْتَعْجِلُونِ** ﴾ ؟ قلنا : لأن العائق كلما كان أشد ، كانت القدرة على مخالفته أكمل ، فكأنه سبحانه نبه بهذا إلى أن ترك الاستعجال : حالة شريفة عالية مرغوب فيها) (٢) .

ولو كان الإنسان سليماً من تلك الطباع والغرائز كالملائكة كان هناك وجه لتفضيله على الملائكة عندما يهذب تلك الغرائز ، فالمقطوع به أن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة لأن الملائكة ليس فيهم ما في البشر من غرائز وشهوات ، فإذا قهر البشر تلك الغرائز و هذبوها بهدى الله كانوا أفضل من الملائكة (٣) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ٣ / ١٧٤ ط دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٩٦ .

(٢) مفاتيح الغيب : للفخر الرازي ٢٢ / ١٧١ ط دار الفكر ـ بيروت ٢٠٠٢ .

(٣) انظر تفصيل المسألة في : عالم الملائكة : للدكتور / عمر الأشقر ص ٩١- ٩٦ ط دار النفائس ـ الأردن

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

ثانياً : ذمّ استعجال الرزق :

لقد جاء القرآن الكريم والسنة النبوية يؤكدان على أن الرزق مضمون على الله الذي تكفل بأرزاق كل خلقه وليس الإنسان فقط ، ولكن في سياقات لا يفهم منها التواكل أو الركون انتظاراً للرزق الذي يطرق الأبواب ، أو السماء التي تمطر ذهباً وفضة ، وإنما في إطار يشمل الأخذ بالأسباب والسنن مع الثقة فيما عند الله الذي عنده مفاتيح الغيب ، ولا ينفد ما عنده برغم جوده وعظمة عطائه .

■ يقول تعالى : ﴿ وَمَا من دابَّةٍ في الأَرْضِ إلاَّ على اللَّه رِزْقُها ويعلمُ مُسْتَقَرَّها ومُسْتَوْدَعَها كُلٌّ في كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦) ﴾ [هود : ٦] .

■ يقول تعالى : ﴿ وفي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وما تُوعدُون (٢٢) ﴾ [الذاريات : ٢٢] .

■ يقول تعالى : ﴿ ولَقَدْ مكَّنَّاكُمْ في الأَرْض وجعلْنَا لكُمْ فيها مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (١٠) ﴾ [الأعراف : ١٠] .

■ يقول تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا معايش ومَن لَّسْتُمْ لَهُ برازقين (٢٠) وإن مِّن شيْءٍ إلاَّ عندنَا خزائنُهُ وما نُنزِّلُهُ إلاَّ بقدرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) ﴾ [الحجر : ٢٠ - ٢١] .

■ يقول تعالى : ﴿ هُو الَّذي جعَل لَكُمُ الأَرْض ذَلُولاً فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وكُلُوا من رِّزْقِه وَإلَيْه النُّشُورُ (١٥) ﴾ [الملك : ١٥] .

■ ويقول تعالى لمن يكره كثرة الأولاد خشية الفقر وقلة الرزق : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خشْيَةَ إمْلاقٍ نَّحْنُ نرزُقُهُمْ وإيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء : ٣١] .

■ ﴿ ولا تقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إمْلاقٍ نَّحْنُ نرزُقُكُمْ وإيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

(وفي السُّنَّة المباركة - أيضاً - أحاديث كثيرة تؤكد ضمان الرزق وتنهى عن استعجاله ، من ذلك :

ما رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : (**لا تستعجلوا**

الرزق فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له ، فأجملوا في الطلب ، أخذ الحلال وترك الحرام) [١] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « **إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه الأجل** » [٢] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لو فرّ أحدكم من رزقه أدركه كما يدركه الموت** » [٣] .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : (**قام النَّبيّ ﷺ فدعا الناس فقال : هلموا إليّ فأقبلوا إليه فجلسوا فقال : هذا رسول رب العالمين : جبريل ، نفث في روعي : أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وإن أبطأ عليها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله فإن الله لاينال ما عنده إلا بطاعته)** [٤] .

وبرغم هذه الضمانات إلا أن الإنسان قد يتعجل في طلب الرزق ، وسبب ذلك :

[١] ضعف اليقين والثقة في الله سبحانه وتعالى .

[٢] الحرص وخوف فوات الرزق .

[٣] كثرة النظر إلى ما أنعم الله به على الآخرين لحكمة يعلمها هو سبحانه .

---

(١) أورده الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢ / ٣١٠ (ط مكتبة المعارف ـ الرياض ١٤٢١ هـ) وقال : (رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرطهما) .

(٢) أورده الشيخ الألباني صحيح الترغيب ٢ / ٣١٠ ورمز إليه بأنه صحيح لغيره ، ثم قال : أخرجه ابن حبان في صحيحه والبزار

(٣) صححه الألباني في صحيح الترغيب ٢ / ٣١٢ ورمزه بأنه حسن لغيره ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد حسن (

(٤) صححه الألباني في صحيح الترغيب ٢ / ٣١٢ ورمزه بأنه حسن صحيح ، وقال : (رواه البزار ورواته ثقات) .

OBEIKAN.COM

هذه العجلة لها خطورتها : فقد توقع المتعجل في الحرام ، فتمتد يده إلى مالا يحل ، إذ أن المرء حينما يتعجل الرزق قد لا يبالي بأي طريق يحصل على رزقه فربما يقتل ، وربما يسرق، وربما يختلس، وربما يرتشي ، وربما يأكل الميراث ، وبما يستحل الربا ، وربما يغش ويغبن . . .

مع أنه لو تيقن وعلا مؤشر الإيمان في قلبه لعلم أن ما تعجله من الرزق فأخذه حراماً قد سبق في تدبير الله أنه له من حلال ، ولكنه تعجله فأخذه من حرام .

وقد روي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتى المسجد ليصلي ، وأراد أن يترك دابته خارج المسجد ، فوجد غلاماً فتركها له ، فلما صلى وانصرف إذا بالغلام قد خلع خطام الدابة وتركها ، فبعث أمير المؤمنين رجلاً في أثره إلى السوق لعله يجد الغلام وهو يبيع الخطام ، فوجده الرجل فعلاً قد عرضه للبيع ، فاشتراه منه بدرهم ، فلما عاد إلى أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه قال : سبحان الله ، لقد عزمت على أن أعطي الغلام درهماً حلالاً فتعجل فأخذه حراماً) .

(وقد عالج الوحي الإلهي داء استعجال الرزق بعلاج ناجح وشافٍ ، فقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

[الطلاق : ٢-٣] .

وقد سبق قوله ﷺ :**«اتقوا الله وأجملوا في الطلب ،ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله ، فإن الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته »** (١) .

ووجه الأنظار إلى بعض سبب داء استعجال الرزق ، وهو النظر إلى ما في أيدي الآخرين ، فنهى عند ذلك قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ

---

(١) سبق تخريجه .

بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢) ﴾

[طه : ١٣١ – ١٣٢] .

قال الشيخ / السعدي ـ رحمه الله ـ :

(في هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحاً إلى زينة الدنيا وإقبالاً عليها ، أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه ، وأن يوازن بين هذا وهذا .. ثم ضمن تعالى لرسوله الرزق ، وأن لا يشغله الاهتمام به عن إقامة دينه فقال : ﴿ **نَّحْنُ نَرْزُقُكَ** ﴾ أي رزقك علينا ، قد تكفلنا به كما تكفلنا بأرزاق الخلائق كلهم ، فيكف بمن قام بأمرنا واشتغل بذكرنا ؟ ..) [١] .

ثم يبين الحق تعالى للمتعجل الرزق أن ما يستعجله قد يكون فيه هلاكه ، فإن من يغتر المتعجل بما عندهم من الرزق ليسوا هانئين ولا منعمين ، قال تعالى : ﴿ **وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** (٨٥) ﴾ [التوبة : ٨٥] .

(أي لا تغتر بما أعطاهم الله في الدنيا من الأموال والأولاد ، فليس ذلك لكرامتهم عليه ، وإنما ذلك إهانة منه لهم .. فيتعبون في تحصيلها ، ويخافون من زوالها ولا يتهنؤن بها ..) [٢] .

وأحق الناس أن لا يتعجلوا الزرق هم الدعاة إلى الله ، الذين يعظن الناس ويطفئون نار العجلة في الناس وهي تحرق أجسادهم ، ولا تحسبن الكلام عن استعجال الرزق أمراً ليس له صلة بالدعاة ، فإن استعجال الرزق إذا تمكن من الداعي شغله عن دعوته ، وربما حمله هذا الاستعجال على المتاجرة بدعوته ، فيسترضى ويستجدي .. ويشتري بآيات الله ثمناً قليلاً ، ونسأل الله العافية .

---

(١)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٨٩ط دار ابن حزم ١٤٢٥ هـ .

(٢) تيسر الكريم الرحمن ص٣٢٤ .

OBEIKAN.COM

وانظر إلى سيد الدعاة والخلق أجمعين ﷺ وهو يقول : « **ما يمنع أحدكم إذا عسر عليه أمر معيشته أن يقول إذا خرج من بيته : بسم الله علي نفسي ومالي وديني ، اللهم أرضني بقضائك وبارك لي فيما قدر لي حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت** »[١] ، « **اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً** »[٢] ، وفي رواية « **كفافاً** »[٣] .

ثالثاً : ذم استعجال إجابة الدعاء :

إن الدعاء عبادة من أعظم العبادات التي يتضرع بها العبد لربه سبحانه ، أمرنا الله سبحانه وتعالى بها : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)** ﴾ [غافر : ٦٠] ، وقال تعالى : ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥)** ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

والعبد وهو يؤدي عبادة الدعاء ويتزلف بها إلى ربه قد يداخله الاستعجال ، فيتعجل أن يرى إجابة دعائه ، وهو التعجل فد نهى عنه النَّبيَ ـ ﷺ ـ أيَن أنه قد يكون سبباً في عدم الإجابة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : قد دعوت ربي فلم يستجب لي**)[٤] .

وفي رواية لمسلم : (**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل** . قيل : يارسول الله ، ما الاستعجال ؟ قال : **يقول : دعوت ، وقد دعوت ، فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ـ أي ينقطع ـ ويدع الدعاء**)[٥] .

---

(١) كنز العمال للهندي برقم (٩٣٢٣) وعزاه لابن السني ولأبي نعيم .

(٢) رواه الترمذي ، وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم ١٦٣٢ .

(٣) قال العلماء في حد الكفاف : أن يشبع يوما ويجوع يوما .

(٤) متفق عليه .

(٥) رواه مسلم برقم (٢٧٣٥) ك الذكر والدعاء . . ، باب بيان أنه يستجاب للداعي مالم يعجل .

فاستعجال الإجابة كما رأينا قد يؤدي إلى الانقطاع عن تلك العبادة العظيمة، والانقطاع عنها يؤدي إلى قسوة القلوب ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) ﴾ .

[الأنعام : ٤٣] .

وقد بيّن النبي ﷺ أنه لا داعي لعجلة المتعجل ، فالدعاء متى استوفى شروطه مجاب بإذن الله ، ولكن صور الإجابة مختلفة ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، فقال** رجل من القوم : إذا نكثر ـ أي من الدعاء ـ **قال : الله أكثر)** [١] ، وفي رواية **(أو يدخر له من الأجر مثلها)** [٢] .

وللأسف فإن المتعجل في إجابة الدعاء غالباً يكون دعاؤه غير مستوف للشروط اللازمة للإجابة ، وبدلاً من أن يلوم نفسه ويرد إبطاء الإجابة إلى تقصير في نفسه ، يلوم ربه ـ والعياذ بالله ـ أو يُعرض عن عبادته وينقطع عن الدعاء ، فيضر نفسه ولا يضر الله شيئاً .

والدعاة إلى الله تعالى يتعرضون كثيراً للضرورات بحسب وعورة طريقهم فيدعون الله خالقهم ، فيحسن بهم أن لا يتعجلوا إجابة دعائهم فإن الله إن أخر نصر دينه الذي يتمناه الدعاة ويدعون به فإن لحكمة يعلمها ويريدها سبحانه ولا بد من نفاذها .

---

(١) الترمذي برقم (٣٥٨٢) ك الدعوات ، باب في انتظار الفرج وغير ذلك ، وقال : (هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٣٥٧٣).

(٢) الأدب المفرد للبخاري برقم (٧١٣) ص ١٨٩ ، (١٩٠) ، وفي المسند لأحمد برقم (١١١٤٧) ٣ / ١٨ وقال محقق الأدب المفرد (أحمد عبد الرازق البكري) صحيح الإسناد ص ١٩٠ بالهامش.

OBEIKAN.COM

رابعاً: ذم استعجال الموت :

لقد وردت أحاديث كثيرة ينهى فيها النَّبيّ ﷺ عن استعجال الموت وتمنيه، لأن الحياة مزرعة للآخرة ولا يتمنى انقضاء فترة هذه المزرعة إلا مزارع فاشل ، اعتراه اليأس ولحقه القنوط فاستعجل انقضاء الحياة ،

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً ، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب »** (١) .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به في الدنيا ، لكن ليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي »** (٢) .

ولكن هذا لا يعني كراهية الموت أو الانزعاج منه ، فإن هذا من أسباب الوهن ، ولكنهم كانوا يحبون الموت ليس استعجالاً لإنهاء الحياة ، وإنما للتضحية التي لا تتوقف عند حدّ ، وهناك فروق واضحة بين من يستعجل الموت يأساً وبين من يحبه تضحية ، فالمستعجل يأساً تعلو وجهه غبرة اليأس وكدره ، ويتخلص من حياته بلا ثمن ، ربما بحديدة يقتل بها نفسه أو أن يخنق نفسه ونحو ذلك .

أما الذي يحب الموت للتضحية في سبيل الله فإنه مستبشر بما عند ربه ، أحسن لنفسه فلم يبعها إلا بأغلى ثمن ألا وهو الجنة ، ولذلك كان قادة الجيوش الإسلامية إبان الفتح يوجون الرسالة إلى العدو بعد الدعوة إلى الإسلام قائلين : « ... وإلا جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

---

(١) الألباني : صحيح سُنن النسائي برقم (١٨١٧) ك الجنائز ، باب تمني الموت ، ط مكتبة المعارف ، الرياض ١٩٩٨ .

(٢) صحيح سُنن النسائي برقم (١٨١٩) ك الجنائز ، باب تمني الموت .

OBEIKAN.COM

وربما ثبت عن النَّبيّ ﷺ لأنه يجوز تمنى الموت عند الفتن وشيوعها كما في الحديث : (... **إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**) ، فهذا كما هو موضح في السياق مشروط بالفتن ، (**إن أردت بعبادك فتنة**) . فلأن تنتهي الحياة خير من الوقوع في فتنة قد لا يثبت الإنسان لها ، ولا يُعكر هذا الحديث على الأحاديث الواردة في ذم استعجال الموت .

(وإذا كان ـ الابتلاء ـ سُنَّة الله في الحياة عامة، وفي الناس كافة، فإن أصحاب الرسالات خاصة أشد تعرضاً لنكبات الدنيا وويلاتها ، إنهم يدعون إلى الله فيحاربهم دعاة الطاغوت، وينادون بالحق فيقاومهم أنصار الباطل، ويهدون إلى الخير فيعاديهم أنصار الشر،ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أهل المنكر.. وبهذا يحيون في دوامة من المحن، وسلسلة من المؤامرات والفتن، سُنَّة الله الذي خلق آدم وإبليس، وإبراهيم ونمرود ، وموسى وفرعون، ومحمد وأبا جهل.. ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، هذا شأن الأنبياء ، وشأن ورثتهم والسائرين على دربهم ، والداعين بدعوتهم) [١] .

فليصبر الدعاة على ما يلقون من البلاء والمحن ولايستعجلوا انقضاء الحياة ، وليستمعوا إلى ابن القيم ـ رحمه الله ـ وهو يناديهم مغلظاً في القول صادقاً في النصح :

(يامخنث العزم : الطريق تعب فيه آدم ، وناح فيه نوح ، وأُلقى في النار إبراهيم ، وتعرض للذبح إسماعيل ، ونُشر بالمنشار زكريا ، وذبح السيد الحصور يحيى ..) .

---

(١) د / يوسف القرضاوي : الإيمان والحياة ص ١٨٤ ، ١٨٥ ط مكتبة وهبة ـ القاهرة ٢٠٠٤ .

خامساً : ذم استعجال العقوبة :

إن ما ينزل بالمؤمن من البلاء غالباً يكون كفارة لذنوبه أو رفعاً لدرجته ، ولقد أراد النَّبيّ ﷺ أن يُصَبر أتباعه على ما ينزل بهم وبيّن أنه من حب الله للعبد فقال : « **إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي يوم القيامة** » (١) .

ولكن هذا لا يعني أن يسأل العبد ربه تعجيل العقوبة ،كمن قالوا : ﴿ **وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ** ﴿١٦﴾ ﴾ [ص : ١٦] ، ولقد سمع النَّبيّ ﷺ رجلاً من أصحابه يقول : (اللهم ما أنت معذبي به في الآخرة : فعجله في الدنيا ، فقال النَّبيّ ﷺ : (**سبحان الله إنك لا تستطيعه ـ أو لا تستطيعوا ـ ، ألا قلت اللهم أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . . .**) (٢) .

فهكذا ينبغي ألا يستعجل العبد العقوبة لأنه لا يتحملها ، وإنما أفضل له أن يسأل ربه العفو والصفح والمغفرة ، فهو سبحانه أهل لها جميعاً ، وقد علّمنا ﷺ أن يقول : (**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت عل نفسك**)(٣) .

سادساً : ذم استعجال العذاب :

إن استعجال العذاب شأن الكافرين ، لأنهم مكذبون بوعيد الله ـ عز وجل ـ الذي كان يخبرهم به أنبياء الله ورسله ، ولذلك نجد أكثر الأقوام استعجلوا العذاب ، ها هو لوط عليه السلام يعظ قومه فيكذبونه ويستعجلون العذاب كما قال

---

(١) الترمذي برقم (٢٤٠١) ك الزهد ، باب ما جاء في الصبر على البلاء وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٣٩٦) وفي الصحيحة برقم (١٢٢٠) .

(٢) الأدب المفرد للبخاري برقم (٧٢٨) وقال المحقق (صحيح الإسناد) ص (١٩٤) .

(٣) صحيح ابن خزيمة رقم (٦٧١) ، (١ / ٣٣٥) .

OBEIKAN.COM

تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩] .

وأصحاب الأيكة لما دعاهم شعيب عليه السلام قالوا له: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) ﴾ [الشعراء :١٨٧]، وما أكثر ما قال أهل العجلة وهم يستعلجون العذاب: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١).

وأما أهل مكة فكان لهم شأن آخر في استعجال العذاب، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) ﴾ .

[العنكبوت : ٥٣-٥٤] .

وقال تعالى أيضاً ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) ﴾ [الحج : ٤٧] .

(ومع ذلك فقد كان القرآن الكريم يتنزل بتوجيهات تحذر هؤلاء المكذبين من استعجال العذاب، فتارة يبين لهم أن ما حاق بالمكذبين من قبل سيحيق بهم فلا داعي للعجلة: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩) ﴾ [الذاريات : ٥٩] .

■ وتارة يخاطبهم بالإقناع والاستمالة: لماذا تستعجلون العذاب: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١) ﴾ [يونس : ٥٠ - ٥١] .

■ وتارة يبين لهم أنه لا يعجل لهم العذاب لعجز عنه، وإنما لحلمه ورحمته ورجاء أن يعودوا إليه: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ

---

(١) وردت هذه الآية بهذه الصيغة في ستة آيات في القرآن الكريم، كالآتي:
[الملك : ٢٥ ، يونس : ٤٨ ، النمل : ٧١ ، يس : ٤٨ ، الأنبياء : ٣٨ ، سبأ : ٢٩].

OBEIKAN.COM

الْعَذَابَ بَلْ لَهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا من دُونه مَوْئِلا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف : ٥٨] .

وهكذا أوردت العجلة أهلها موارد الهلكة ، وكان أجدر بهم أن يكفوا عن هذا الطلب الذي تعجلته أمم قبلهم فحلّ بهم العذاب وأن يشكروا الله على حلمه عليهم وإمهاله لهم ، ولكن العجلة أعمتهم عن التبصر فكانوا من المهلكين .

سابعاً : ذم استعجال هلاك الكافرين :

الإسلام منهج الله عز وجل إلى خلقه ، ويعلم حملته الحلم حتى على المخالفين ، رجاء أن يتوبوا ، أو أن تقام عليهم الحجة بإمهالهم ، لذلك يقول الله لنبيه ﷺ ﴿ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [مريم : ٨٤] .

وقال أيضاً : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ .

[الأحقاف : ٣٥] .

قيل هذا الكلام لمن كان يقول كلما لحقه قومه بالأذى (**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**) ، وعندما آذاه أهل الطائف وقال له جبريل إن معي ملك الجبال ولو شئت أن يطبق عليهم الأخشبين لفعل فقال : « **لا ، عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويوحده** » [1] .

وهذا يعني أن الداعية ينبغي أن لا يقطع الرجاء من توبة أي إنسان ، من ثم لا يتعجل هلاكه .

ثامناً : النهي عن مسايرة أهل العجلة :

المؤمن الذي يعرف طريق ربه ثابت لا يداخله شك ولا ريب ، ومن ثم لا يعجل فهو واثق بتحقيق وعد الله وإن تأخر ، لذلك مهما يرى من تعجل أهل الشك والريب لا يضره ذلك ، ولقد نهى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ عن مسايرة

---

(١) البخاري برقم (٥٩) ك بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين ... ، ومسلم برقم (٢٣) ك الجهاد والسير .

أهل العجلة ، قال تعالى : ﴿ **وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴿٦﴾ ﴾ [الروم : ٦] .

(أي لا يحملنك يا محمد على الخفة والجهل والطيش بترك الصبر ولا يستفزنك عن دينك وما أنت عليه ...) (١) .

وقال الإمام النسفي ـ رحمه الله ـ :

(أي لا يحملنك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفة والعجلة في الدعاء عليهم بالعذاب ، أو لا يحملنك على الخفة والقلق جزعاً مما يقولون ويفعلون فإنهم ضُلال شاكون لا يُستبعد منهم ذلك) (٢) .

وقال الشيخ / وهبة الزحيلي ـ حفظه الله ـ :

(نهى الله نبيه ﷺ عن الانفعال والاهتزاز لكلام المشركين أو التحرك واضطراب النفس لأقوالهم إذ هم لا يقين لهم ولا بصيرة ، فلا يحملنك شيء على الخفة والطيش والقلق .. وإذا كان هذا الخطاب بالصبر موجهاً للنبي ﷺ فالمراد به أمته ، فعلى الأمة أن تصبر في تبليغ الدعوة الإسلامية لكل أمم الأرض تثبت في بيان أصول الإيمان ، لأن حبل الخير متصل دائم إلى يوم القيامة ، وحبل الخير لا يكون إلا بجهود الدعاة إلى الله ...) (٣) .

فليحذر الدعاة من مسايرة المتعجلين ، ولو كانت مسايرتهم بنية حسنة .

تاسعاً : اللوم على الاستعجال ولو لهدف سام :

العجلة هي العجلة ولو كانت لهدف سام ، فلقد لام الله تعالى ـ موسى عليه السلام ـ عندما تعجل وفارق قومه لما خرج بهم ، وما كان هذا إلا شوقاً للقاء ربه

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن : لصديق حسن خان ٧ / ٢٧٢ ط دار الفكر العربي

(٢) تفسير النسفي ٣/٤٢ ط دار النفائس ـ بيروت ١٩٩٦

(٣) التفسير الوسط :للشيخ/وهبة الزحيلي ٣ / ٢٠١٥،٢٠١٤ ط دار الفكر سوريا ولبنان ٢٠٠١ م .

OBEIKAN.COM

تعالى وتطلعاً لمناجاته والمثول بين يديه سبحانه ، فقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥)** ﴾ [طه : ٨٣ – ٨٥] .

قال الإمام البيضاوي ـ رحمه الله ـ :

قوله تعالى :﴿ **وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣)** ﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها ، من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظيم عليهم فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم ، ﴿ **قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي** ﴾ أي ما تقدمتهم إلا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم على بعض ، ﴿ **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤)** ﴾ فإن المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك [١] .

وقال الشيخ / الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ :

(والاستفهام مستعمل في اللوم والذي يؤخذ من كلام المفسرين وتشير إليه الآية أن موسى تعجل مفارقة قومه ليحضر إلى المناجاة قبل الإبان الذي عينه الله له، اجتهاداً منه ورغبة في تلقي الشريعة حسبما وعده الله ، قبل أن يحيط بنو إسرائيل بجبل الطور ، ولم يراع في ذلك إلا السبق إلى ما فيه خير لنفسه ولقومه، فلامه الله على أن غفل عن مراعاة ما يحف بذلك من ابتعاده عن قومه قبل أن يوصيهم الله بالمحافظة على العهد ويحذرهم مكر من يتوسم فيه مكراً) واعتذر عن تعجله بأنه عجل إلى استجابة أمر الله مبالغة في إرضائه ، فقال تعالى : ﴿ **قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ** ﴾ فيه ضرب من الملام على التعجل بأنه تسبب عليه حدوث فتنة في قومه ليعلمه أن لا يتجاوز ما وقت له ولو كانت الرغبة في

---

(١) تفسير البيضاوي ٤ / ٦٤ ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٦م .

الازدياد من الخير ...) [١] .

ولك أن تقدر خطورة الأحداث التي ترتبت على هذه العجلة : كَفَرَ القوم وارتدوا عن دين الله وعبدوا العجل ، وأنظر مقدار الغضب والانفعال الذي لحق نبي الله موسى عليه السلام لما رجع ، ألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه ولحيته يجره ويعاتبه ، ثم قصة توبة بين إسرائيل والتي اشترط فيها أن يقتلوا أنفسهم .. وغير ذلك مما يؤكد خطورة العجلة حتى ولو كانت في طاعة الله تعالى .

عاشراً : النهي عن العجلة ولو بالقرآن :

كان النَّبيّ ﷺ عندما ينزل عليه الوحي يتعجل بتحريك شفتيه ولسانه يردده ويكرره ليثبت ، خشية أن يتفلت ، فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال :

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) ﴾ .

[طه : ١١٤] .

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) ﴾ .

[القيامة : ١٦ – ١٧] .

أي لا تحرك بالقرآن لسانك . . .لتأخذه على عجل مخافة أن يتفلت منك [٢] .

قال الشيخ / محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله ـ :

(العجلة أن تخرج الحدث قبل نضجه ، كأن تقطف الثمرة قبل نضجها وقبل أوانها ، وعند الأكل تفاجأ بأنها لم تستو بعد .. فنهاه الله تعالى عن هذه العجلة ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴾ أي لا تعجل ولا تنشغل بالتكرار والترديد ، فسوف يأتيك نضجها حين تكتمل ، فلا تخش أن يفوتك شيء منه طالما أننا تكفلنا بحفظه .. فاطمئن ولا تقلق على هذه المسألة ، لأن شغلك بحفظ كلمة

---

(١) تفسير التحرير والتنوير : للطاهر بن عاشور ١٦ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ ط دار سحنون – تونس.

(٢) فتح القدير: للشوكاني ٥ / ٤٤٢ ط مؤسسة الريان ـ بيروت ١٩٩٦ .

OBEIKAN.COM

قد يُفوت عليك أخرى)[١] .

وليس هذا النهي عن التعجل إبان نزول الوحي فقط ، وإنما على الدوام فقد ثبت أنه ﷺ نهى عن ختم القرآن في أقل من ثلاث ليال . لأن المتعجل المسرع في القراءة محروم من التدبر أو الفهم كما أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ واللحن لعجلته وانشغاله بالقراءة السريعة .

وبعد :

فهذه عشرة شواهد تشهد بذم العجلة في أكثر أحوالها ، ذمها كطبع بشري ، وذمها في استعجال الرزق ، وذمها في استعجال إجابة الدعاء ، وذمها في استعجال الموت . وذمها في استعجال العقوبة حتى ولو كانت بنية البراءة من الذنوب ، والنهي عن مسايرة أهل العجلة ، واللوم على الاستعجال ولو في لقاء الله تعالى ، والنهي عن العجلة ولو بالقرآن .

وسنعرض في المبحث القادم مجموعة من الصور والنماذج للتعجل في عهد النَّبيّ ﷺ وكيف كان موقفه منها ، لنقتدي به ﷺ في مواجهة العجلة وإصلاح الآثار التي قد تنتج عنها .

---

(١) تفسير الشعراوي للشيخ محمد متولي الشعراوي ١٥ / ٩٤١٠ ط أخبار اليوم ــ القاهرة .

OBEIKAN.COM